

أدونيس ودرويش : صدى الشعر في وقع الانتفاضة

■ كاني كنت أنتظر هذه اللحظة الشعرية ، لاتلمس (كيف) سيحول وقع الانتفاضة ، أو واقعتها المدوية وتدايعاتها وتناجها ، إلى قصيدة تحتوي مفردات الانتفاضة ، كما تحافظ على فنيتها وانتظامها وخطابها الأدبي..

■ وإذ كتب أدونيس قصيدته الطويلة (أفصحي ، أنت أنتها الجمجمة) ، وصفها في عنوانها الجانبى بأنها (تحيةة للموت الفلسطيني) ، وإذ كتب محمود درويش قصيدته (حالة حصار) عن تجربة الموت البطيء المدير لشعبه متمثلاً في حصار مدن فلسطين ورام الله) تحديداً ، صار لدينا نموذجان في استيعاب واقعة الانتفاضة والرد الديموي الذي قابلها به السفايحون الصهاينة وقتلة النظام العالمي الجديد الذين يواصلون جرائمهم منذ بدء العدوان على شعب العراق ومدته وميائه وسماهته قبل اثني عشر عاماً..

■ محمود درويش الذي دأب منذ قصائده الأولى على أن يكون (فلسطينياً) مختلفاً ، (شاعراً) مختلفاً ، تحولت الانتفاضة وتدايعاتها في قصيدته إلى (مناسبة) لقول كل شيء : ما جرى للأرض ، وما حل بالأمل ، ما فعله الغزاة المحصونون داخل دباباتهم ، وما يفعله الناس المحاصرون داخل بيوتهم ، وما لم يقدمه (الأخوة) وراء الحدود وهم يرون تفاصيل الجزرة ووجوه الجناة ، الانتظار والوحدة والظلام ، والصمت المرعب الرامز إلى لا مبالاة العالم بما يحدث ، وكأنه شيء عادي .. تلك المفردات وسواها ستتحول في (حالة حصار) إلى شعر عذب ، حزين وشفاف ، يضع القارئ في قلب المسألة كلها منذ البداية :

- هنا ، عند منحدرات التلال ، أمام الغروب

وفوهة الوقت

قرب ساعتين مقطوعة الظل

نفاعل ما يفعل السجواء

■ ومن هيجان العواطف ومرارة الحصار تتفجر طاقة اللغة صورا وجملا شعرية صافية مؤثرة ، لكن درويش لا يفارق عاداته الشعرية : السخرية المريرة الدامعة ، والتقاط أذى الدلالات واختزلها في إطار موسيقى قصيدته التي حافظت على جوهرها في متن تجربته..

■ أما أدونيس فهو إذ يتبع مكانا عن المذبحة ، يتمثلها في مخيلته الشعرية ، فيرسم مشهداً (جحيمياً) يذكرنا بمشاهد العذاب في القبايات الأدبية المتخيلة واللوحات المرسومة ، لكنه يستبدى إنسانيته وشعوره الكوني ليخاطب الإنسان في الآخر أيضا ، ويريد أن يصير ما جرى للأرض : لوكنا القليل عمداً وعلناً : ففكر لآزمة ديموية (فك من دم/لا) فلن يد العبق إلا دماً ، متسائلاً عن حقيقة وجود (عقل) الإنسان : (ما الذي يؤلم العقل للقتل في شرقه المتوسط/في القدس ، بين جنائن بغداد/أو في دمشق وبيروت والقاهرة/ما الذي يهبط ، ما الذي يتلاشى ، ما الذي يتخطر من هذه الذاكرة؟) ، لكن أدونيس ، وهو يحوم بعيداً عن التسمية متخوفاً المباشرة والظرفية لا يتخلص من وقع الانتفاضة والمصاف التي تلتهها ورفعت قضية الموت الفلسطيني إلى مصاف الماسي الكبرى في تاريخ الإنسانية ، ويتكيف نضجاً بوزنية واضحة وقواف كثيرة وجمال قصيرة ، لاهمة ، متقطعة كناية عن الاحتدام والانفعال..

■ ولا أشك في أن اعمالاً لاحقة للشاعرين ستفوق على ما كتبه الشاعران بعد أن يتعدت الدوي وتخفف حرارة الواقعة ، ولكن القارئ القادم سيرصد نذبات الاستجابة المباشرة لهذا الزلزال البشري ، سواء في إرادة المقاومة أو في وحشية المحتل ، ويفرقت أكثر عمقاً ودلالة ، وبشفافية الشعر وإنسانيته..

الجدّة الإلكترونية أو فضاء الصورة

■ في إحدى جلسات ندوة القصة والرواية في اليمن التي دعا إليها نادي القصة (لقد) ، تحدث الزميل سعيد يقطين عن ضرورة تحديث وسائل التواصل وسائطه مثلاً بالحكايات المروية للأطفال .. حيث يقوم التلفزيون الآن بدور (الجدّة) التي كانت تقص على مسامع الأطفال حكاياتها وأساطيرها حول موقد أو مجلس ، بينما يهرع الأطفال اليوم إثر عودتهم إلى المنزل لمشاهدة ما تقصه عليهم أفلام الرسوم المتحركة .. وذلك يعني انتقال المقروء إلى المصور ، فلا تعود حكايات السندباد مثلاً في تلك الرحلات العجائبية في ثيابا ألف ليلة وليلة وعلى صفحاتها الملتهبة بالمغامرات والمفاجآت ، بل هي الرسوم المتحركة الصورة بالألوان وهي تحكي عن طفل مغامر يجوب البحار والجزر والكن ويتحدى الأخطار..

في وضوح الظلام

تخطيطات على المتون



يكتبها : هاتم المكر

■ ماذا تعني هذه الانتقالة؟ .. ببساطة شديدة ترمز الصورة اليوم - وهي تهيم على (الخطاب) الثقافي - إلى أن التلقي قد تغير موقعه وفاقه وزاويته ، مما يحتم تغيير (شكل) الرسالة الأدبية ، فلا تكون ورقية خالصة ، بل تتكيف مع أشكال التلقي المختلفة ، ولكن ذلك يجب ألا يصادر (سردية) الحكاية لصالح (صورتها) .. فالأبعاد القصصية التي تميز نوع (الحكاية) بأشكالها المختلفة تتطلب سرداً أو حكياً له مهيمناته وتقنياته التي لا تفيها الصورة حقها ، بل تجعل ترتيبها لاحقاً لهيمنة البصر وجماليات الصورة .. وإذا كنا نستجيب لأي مقترح يعزز أدبية الخطاب الأدبي ويسهم في (توصيل) المضمون الحكائي ، فإننا لا ننخل هذه الحجة الإلكترونية وقد اختطفت منزلة الجدّة القاصة أو استبدلتها تماماً..

■ إن المقترح الجديد ينطلق من واقعية الأثر ، ومن فهم عميق للاتصال الذي يتشكل على وفق قنواته ووسائطه المتجددة ، لكن النوع الحكائي التقليدي (سبر شعبي - خرافات - أساطير - رحلات - أخبار - ملاحم) لا يمكن أن يفصل عن سياقه الذي تشكلت أنساقه على أساسه ، وصار حتى لفواصل السرد فيه أو مقدماته وانتقالاته وروابطه استحقاقاً فنياً وجمالياً ، هو جزء من ثقافته وقراءته .. كما أن إلقاء الشعر - مثلاً - بمؤثرات مصنوعة داخل الاستوديو وبخلفيات صورية ومشاهد فيلمية لم يبلغ الحاجة إلى قراءته مدوناً ومنشوراً .. ولربما استعارت الفنون البصرية بعض تقنيات الحكى البدائي أو القص الشعبي ، فاستعانت الرسوم المتحركة برواية يبدأ القص على لسانهم تذكيراً بالجزر الذي جاءت منه الحكايات..

■ وهكذا سيظل للجدّة البشرية فضل الانبثاق شرارة السرد الأولى في ليل من العناء والتعب ، نوميض فيه الحكايات أملاً وعزاء وتعلّة..

أجيال وأصوات : قصيدة النثر العربية

■ بعد مضي أكثر من خمسين عاماً على تجارب قصيدة النثر الأولى بالعربية ، يصح الحديث اليوم على أجيال أو (موجات) أو (أصوات) متباعدة في كتابة هذا النوع الشعري ، يجعل النظر إليه مختلفاً بالمناسبات التي تقدمها تجارب كتابه ، وليس كتلة واحدة ، ترفضها أو تقبلها ، دون قراءة أو اقترب من منطقها ومبرراتها ، شكلها وإيقاعها ، جديدها وحديثها..

■ ولقد حاولت في دراسة لي أن أسمي ثلاثة أجيال فيها : الريادة ، والتحول ، والمغامرة .. ووجدت أن لكل ذرائعه ورؤاه وموسوعاته وأساليبه ، ولغته وإيقاعه ، فضلاً عن تبدل المرجحيات وتغير المؤثرات التي تعمل في تكوين رؤية الشاعر وموقفه ونظرة إلى (النثر) في الشعر وصلته بالفنون الأخرى .. لا سيما (السرد) أو القص الذي عدا عموداً قفرياً للتجارب الأخيرة..

■ وفي قصيدة النثر العربية تحولات جليلة لا تتم بسبب العمر الزمني فحسب ، بل تجري احتكاماً إلى تبدلات الحساسيات الشعرية ذاتها ، وتغير المفاهيم المتعلقة بلغة الشعر وإيقاعه ، وصلته بموضوعة ، وكيفية التعبير عنه .. وتستطيع أن ترصد الاتجاه نحو السرد في قصائد الجيل الثالث بمقابل العناية باللغة ذاتها والهندسة الشكلية في قصائد الجيل الثاني بينما اقتصر أثر الجيل الأول في حداثة القصيدة النثرية على صدم الإيقاعات المألوفة وتجديد الموضوعات أو المضامين الشعرية والاستناد إلى النثر أساساً

في بناء القصيدة ، لكن ذلك ليس إلا وصفاً خاصاً يندبثق من قراءتي لنصوص معينة ، وربما وجد قارئاً آخر لقصيدة النثر تراثاً تاريخياً وفنياً مختلفاً..

■ إن في نماذج قصيدة النثر اليوم مناسبات وأجواء متعددة ومتباينة ، كثير منها نشأ في المهاجر وبعضها تحت شروط العسف والإحباط والهزائم .. ولكن ما يوحد بينها هو استفزازها لمركز الشعرية الموروثة وهدمه ، لإقامة بديله الإيقاعي الجديد القائم على تفجير شعرية النثر وتخفيف هيجانات اللغة والصور والموسيقى الخارجية والمباشرة الموضوعية..

■ ربما كان (استسهال) كتابة قصيدة النثر بدافع تثيرتها - مثلاً - وعدم توفر شروط (أو) قبود وقوانين فنية واضحة) وصارمة كالوزن والقافية والنظام البيئي قد أدى إلى ظهور نصوص هزيلة لا يمكن قبولها ضمن النوع الجديد أو تحت مسمى (أو ذريعة) المغامرة والمغامرة ، أو الرفض والتجاوز..

■ وذلك الأحتراز لا يعني إلغاء (النوع) نفسه أو مصادرة تجربة كاتبه ولا يبرر فرض (أبوة) جديدة ، عبر فرض (أو) افتراض) قياسات وانساق نهائية ومحددة لكتابة قصيدة النثر ، خاصة وأنها قامت أصلاً على حق التجاوز والتخطي واقتراح معايير الكتابة والقراءة الشعرية بمنهج جديد يعكس فهم (الشعر) لا على أنه الموزون المقفى ، بل المستند إلى لغة ورؤية وأسلوب يقع على الشاعر نفسه عبء اجترارها واختيارها دون احتراز أو تقليد .. إلا أن كثيراً مما يصدر اليوم من تلفظ وتنظير واجتهاد (يقدمه بعض الشعراء) يتم عن مجانبية وسطحية وحب للمغامرة في ذاتها ، كسبب غير شعري لاكتساب صفة (الشاعر) .. وبعض هذه المقترحات يصل إلى حد (الكوميديا) فعلاً ، كالدعوة إلى كتابة قصيدة نثر مقلدة مثلاً! .. فهذه الدعوة التي صاغها صاحبها بهيئة مقدمة أو (بيان شعري) صارخ تطوغي على ساذجة مرجعها الإيقاعي والنفسي ، وفهم خاطئ لوجود النثر في الشعر ، وقصور واضح في تمثل إيقاعات القصيدة النثرية .. كما أنها تذكرنا بمقترح (الشعر المرسل) الذي اقترحه الزهاوي داعياً إلى كتابة شعر موزون دون قافية!! ، غافلاً عن (ركة) الإيقاع وساذجته..

■ هنا أيضاً - في مفتتح قصيدة النثر المقفاة - سنعود إلى السجع وتكلف وجوهه في خطاب نثري مستسرسل ومنبسط ، وسنعود إلى (ريحانيات) وإنشاء أمين الريحاني ، ومناجيات جبران لا إلى قصيدة نثر معاصرة أو حديثة..

لحمنا في مطبخ الكون : مختارات

خاتم الموت يهيم أجسادنا

فاقتلنا

من أروماتنا

ومر الريح أن تتعهد إشلاءنا وهذي

أرضنا تتعفن ، يا سيد الحرب : ها لحم أجداننا

وأبائنا وأبنائنا

يتفسخ في مطبخ الكون ، والناس «في شغل فاكهون»

قل لهم : هكذا

يرفع القاتلون

رأية القتل تباهة عالية

أدونيس : أفصحي ، أنت أينها الجمجمة

موليد برج الحصار : مختارات

.. هنا جنرال

تنتقب عن دولة نائمة

تحت أنقاض طرودة القادمة

يقبس الجنود المسافة بين الوجود وبين العدم

بمنظار بداية ..

نقيس المسافة ما بين أجسادنا والقذائف بالحاسنة

السادية

أبها الواقفون على عتبات البيوت!

أخرجوا من صباحاتنا ،

نجد الوقت للتسلية

ونقرأ زاوية الخط : في عام

الفين واثنين تنقسم الكاميرا

لمواليد برج الحصار ..

● محمود درويش : حالة حصار

ذخيرة الأسى



محمد المصمود

● كم تبقى في خزنة القلب

من طلاقات الأمل!؟

- اليأس كثيف في جبهات الفرخ

وعيون البلاد

مسافرة في الحداد

● كم تبقى في لغتي

من ذخيرة مجدي!؟

- سقطت مدن من خارطة الذكرى

وتبرجت الكلمات ذلاً

في مهب الخيبة،

وألقت طيور الحقول

حواصلها للجراد

● كم تبقى من فجر

في قبضة صمتي!؟

- طعنة تتفرغر بالضوء

وليل يجلس فوق ضمير الأبجدية

يتناول في زهو صولجان القنوط

ويمنح للخوف أوسمة

من كنايات

في صدور الرماد

● كم تبقى

في قائمتي من ريح

ومن ألم وصهيل!؟

- ما يكفي لصولة حزن جديدة،

ما يكفي لرأية

يرسمها طفل

فوق جدار الجوع

وفوق دفاتر أحلامه القادمة

من بروق المداد.

.صدي

أنا من دون رصيف

في شارع الكلمات..

ظلي يرحوني ان أتهمل

في خطواتي، قليلاً،

كي أتذوق طعم الحنين،

فثمة ذكرى قادمة

من فحج الصدى،

... وما من صدى،

غير صمت

يقهقه، دون خطي.

.صرفة

تمرين من بين أحلامي، عجلي

دونما تلقين على قلبي

إيماءة دلال قصيرة،

فأصرخ من هلع:

نحو أي ربيع

سيذهب بي، حبي،

نحو أي جهات في احضان الندى

سنقودين نار صهيلي!؟

بعد احتجاب طويل عن الساحة الثقافية:

الواقع الثقافي العربي في مجلة الثقافة

(دور النخبة الثقافية في إحداث التنمية الشاملة)

للاستاذ عبد القادر باجمال ، (رؤية ثقافية) للأستاذ عبد

الوهاب الروحاني ، (اللهجيات

اليمينية) للدكتور مطهر اليربوعي ،

(ثقافة المقاومة) للدكتور حسن

حنفي ، (ثقافة المقاومة) للدكتور

محمد السيد سعيد ، (الكتاب

ومشاكله) للأستاذ عمر سعيدان ،

(الصعوبات التي يواجهها

الكتاب) للأستاذ أحمد الخوري،

(دور الأسطورة والحكاية في

إثراء مخيلة الطفل) للأستاذ عبد

الرحمن عبد الخالق..

● أما باب الدراسات فضم

العناوين والأسماء التالية:

(البرودوني شاعراً، ومناضلاً)

علي بن علي صبرة، (التاريخ

وهيمنة النص) هشام علي ،

(التشيعر في زمن العولمة) بيس

ينسن - ترجمة مصطفى

السليمان ، (إحياء استخدام

الععود الصنعاني .. الطربي)

محمد بركات.

● في باب النصوص جاء في العدد قصيدتان ، الأولى

بعنوان غنّب الأفاق للشاعر محيي الدين جرمة والثانية

بعنوان مشروع أعتراف للشاعر

مختار علي ، إضافة إلى قصيدة

للشاعر الألماني هانز ماجنوس

انتسدينسبرغر نقلها إلى العربية

عادل قرشولي .. وأخيراً ضم باب

النصوص قصة قصيرة بعنوان لغم

للقاصة هدى العطاس.

● باب نافذة على الثقافة العالمية

أطل هذا العدد على الصين ووردت

فيه نصوص من ثقافات شرقية

(البوذية) ترجمها أحمد صالح

الفقيه ، وجاء فيه أيضاً (الأثار

الصينية القديمة) ، (الصين في

الثرات العربي والإسلامي) لمحمد

شجباب ، إضافة إلى استعراض

لكتاب (رحلات الصينيين الكبرى

إلى البحر العربي) للمؤلف عبدالله

محيرز ، وأخيراً أطلت النافذة على

ترجمات من الشعر الصيني نقلها

عن الإنجليزية الأستاذ هشام علي

بن علي.